التحذير من الظلم

إعداد :

اللجنة العلمية العليا

برابطة العلماء السوريين

الخميس ١٥ ذو الحجة ١٤٤٣هـ

الموافق ١٤-٧-٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٣. ١٤]، وفي هذا تحذيرٌ من الباري جلّ في علاه من الظلم وعواقبه الوخيمة، وأنه -أي الظلم- سبب إهلاك الأمم السالفة، وأخذها بعذاب الخزي والاستئصال.

ولمّا كان الظلم على هذه الدرجة من الخطورة، ولمّا كانت آثاره على هذه الرتبة من الشدّة، حسُن لأهل الإيمان أن يتذاكروا على الدوام وجوب الحذر من الظلم بكلّ صوره وألوانه، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، هذا مع ما نراه ونعايشه من شيوع الظلم بشتّى صوره في مجتمعاتنا المسلمة، حتى أنّه كاد أن يصير عرفاً مقبولاً لا تكاد تجد عليه اعتراضاً من أحدٍ، وكأنّه قدرٌ مقدورٌ لا طاقة ولا قبل لأحدٍ بإزالته، حتى أضحت المحاكم . التي يجب أن تكون محلّ العدل والإنصاف . أضحت مرتعاً للرشوة والظلم وأكل الحقوق، وجرّاء ذلك أضحت الضغائن ومشاعر الحقد والبغضاء تسيطر على الناس بعضهم تجاه بعضٍ، وأورث هذا الناس أمراضاً اجتماعيةً ونفسيةً مستعصيةً من التحاسد والتنافس والتنافر والرياء والتيه والقلق النفسي وغير هذا كثيرٌ.

ومن هذا الملحظ، ندرك سبب اهتمام القرآن العظيم واهتمام السنة النبوية في التحذير من الظلم، والوعيد للظالمين.

ومعنى الظلم على ما بيّن أهل العلم: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به، إما بنقصانٍ، أو بزيادةٍ، وإما بعدول عن وقته أو مكانه.

وهو على ثلاثة أنواع؛

.**الأوّل:** ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿.. إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

. **والثاني:** ظلمٌ بين الإنسان وبين الناس، بانتهاك حرمات الناس والتعدّي على حقوقهم وحرماتهم في الدين والنفس والعرض والمال، وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٤٢].

.**والثالث:** ظلمٌ بين الإنسان وبين نفسه، وذلك بتعدي الحدود والتهاون في الأوامر، من تهاونٍ بأداء الفرائض وميلٍ إلى المحرمات من الفواحش وأكل الربا وغير ذلك، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق:١].

فأمّا النوع الأول وهو ظلم الشرك والنفاق، فصاحبه خارجٌ عن سمة أهل الإيمان، وليس مدرجاً على قائمة المسلمين، وهو غير معنيٍّ بما يهمّ المسلم من مسائل الحلال والحرام، والكلام هنا لا يقصده ولا يريده، **وإنما المراد النوعان الأخريان**، ظلم الإنسان لنفسه وظلمه للناس، فحريٌّ بأهل الإيمان أن يحذروا التلبّس بشيءٍ من هذا، وحريٌّ بهم إن زلّت بأحدهم القدم فتلبس بشيءٍ من ذلك أن يسارع إلى الندم والإنابة واستحلال أصحاب المظالم إن كان الظلم فيما بينه وبين الناس.

ومن بعض نماذج هذا اللون من الظلم .ظلم الناس .مما نرى شيوعه في مجتمعاتنا المسلمة وورد التحذير منه والوعيد عليه

. **الظلم في الأعراض:** وعِرض الإنسان موضع المدح والذم منه، ومعناه يتسع ليشمل كلّ إساءةٍ يُسَاء إليه فيها ممّا من شأنه أن يكون سبباً في ذمّه وانتقاصه، فالزنا منه، والقذف بمعنى الاتهام بالفاحشة له أو لحريمه منه، وذكر معايبه ومثالبه منه،

ومنه شتمه وانتقاصه، واقتحام خصوصياته، ونشر أسراره، وغير هذا، وهذا الاعتداء والظلم سببٌ في جعل صاحبه من أهل الإفلاس في الآخرة، ويَذهب ظلمه بأعماله الصالحات وهو أحوج ما يكون إليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**أتدرون ما المفلس**))؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: ((**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخِذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**)) [رواه مسلم]

.**الظلم في الأموال:** بأن يعتدي على أموال الآخرين وممتلكاتهم، من غشٍّ في السلع والبضائع، وأكلٍ للميراث، وتغيير تخوم الأراضي وفرض المكوس الظالمة والأتاوات الجائرة، وغير هذا، فيستمتع بما يجنيه من وراء ذلك شيئاً قليلاً في دنياه الفانية، ويتعذب به في الآخرة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**من اقتطع حقّ امرئٍ مسلمٍ بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة**))، فقال له رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: ((**وإن قضيباً من أراك**)) [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**لا يأخذ أحدٌ شبراً من الأرض بغير حقّه، إلا طوّقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة**)) [رواه مسلم].

فالظلم إذاً عاقبته إلى الحسرة والندامة، وإن أمهل الله تعالى الظالمَ في الدنيا، فسيجد آثار ظلمه وجنايته في الآخرة يوم الحسرة والندامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ۝إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]، فعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته**))، قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

[هود:١٠٢]، [والحديث رواه البخاري ومسلم]، نعم قد يُمهَل بعض الظلمة ولا تُعجّل لهم العقوبة، ولكنها آتيةٌ لا محالة، وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لأهل الظلم، لئلا يغتروا بإمهال الله تعالى لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**اتقوا الظلم، فإنّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة**)) [رواه مسلم]، ومعنى كونه ظلماتٍ، أنّ الناس إنما يسيرون في منازل الآخرة بنورهم الحاصل بسبب إيمانهم وتقواهم، فإذا سعى أهل الإيمان بنورهم الحاصل بسبب الإيمان والتقوى أحاطت بالظالم ظلمات الظلم، حتى لا يغني عنه ظلمه شيئاً، ويكون سبباً لخسرانه وضلال سعيه.

- **الظلم سبب العقوبات الكونية العامة:**

فعن أمّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: ((**نعم، إذا كَثُر الخبث**)) [رواه البخاري ومسلم]، و "الخَبَث" اسمٌ جامعٌ لكل ألوان الشرّ والفساد والمنكر في الدين، والظلم للنفس وللناس بعضٌ منه، وقد بيّن نبينا صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنّ كثرة الخَبَث وشيوعه سبب الهلاك الذي يعمّ الطائع مع العاصي، والنار إذا وقعت في موضعٍ واشتدّت أكلت الرطب واليابس وغلبت على الطاهر والنجس، ولا تفرّق بين المؤمن والمنافق والمخالف والموافق، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥]، وفي الحديث عن أبي بكر رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إنّ الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ**)) [أبو داود والترمذي وصححه]

- **معاونة الظلمة:**

فمن أعان ظالماً على ظلمه كان ظالماً مثله، أياً كان هذا الظالم، وأياً كانت رتبته، أباً كان أو مديراً أو قائداً أو حاكماً أو قاضياً أو زوجاً أو غير ذلك، فعن ابن عمر رضي الله

عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أعان على خصومةٍ بغير حقٍّ، كان في سخط الله حتى ينزع)) [رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي]، والأصل في المسلم أن يسعى في ردّ أهل الظلم عن ظلمهم، بل من حقّهم عليه أن يسعى في ذلك، لا أن يكون معيناً لأهل الظلم والفساد، هذا ما يربّينا عليه هدي نبينا صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، فقال رجلٌ: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: ((تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره)) [البخاري].

- **دعوة المظلوم:**

ولأن الله تعالى لا يحب الظلم، ويبغض أهله، وعد بإجابة المظلوم الذي اعتُدي عليه أن يجيب دعوته على مَن ظلمه، أياً كان المظلوم، وأياً كانت صفته، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ))، [البخاري ومسلم]

وفي هذا تحذيرٌ من جميع أنواع الظلم لئلا يدعو المظلوم على الظالم، والمراد بكونها ليس بينها وبين الله حجابٌ أنّ دعوته مجابةٌ قطعاً وإن كانت من كافرٍ، إذ ليس ثمّة حجابٌ يحجب الله تعالى عن خلقه في الحقيقة.

والحمد لله رب العالمين